مركز البيدر للدراسات والتخطيط
Al-Baidar Center For Studies And Planning

ورقة بحثية

التعاون المشترك بين العراق وإيران
الفرص والتحديات

محمد أمين حضرتي

الملخص

العلاقات الثنائية بين جمهورية إيران الإسلامية وجمهورية العراق، كدولتين جارتين تتمتعان بكثير من المشتركات الدينية والثقافية والجغرافية، التي تعود إلى عقود طويلة، مما وفر أرضية خصبة لتطوير العلاقات المتزايدة بين البلدين. هذه العلاقات ليست محدودة بفترة ما بعد عام 2003، بل إن العلاقات التاريخية والدينية والاقتصادية والجغرافية قد ربطت بين الشعبين بشكل عملي، مما أدى إلى علاقات عميقة على مختلف المستويات. مع ذلك، تُعدُّ طهران في فترة ما بعد 2003 أحد الفاعلين المؤثرين والداعمين لعملية الاستقرار السياسي في العراق، ويسعى الطرفان إلى تعزيز الاستقرار الإقليمي والحد من التهديدات المشتركة مثل الإرهاب والتدخلات الخارجية من خلال هذه العلاقات الثنائية المميزة. في البداية، بعد الإشارة العابرة إلى التهديدات والفرص المشتركة لتعزيز التعاون بين البلدين، سيتم مناقشة أدوارهما في تعزيز الاستقرار الإقليمي.

المخاوف المشتركة في ظل عدم الاستقرار العالمي

من بين العديد من التهديدات المشتركة، تبرز النقاط التالية:

الإرهاب: كلا البلدين من الضحايا الرئيسيين للإرهاب والتطرف، ولا يزال العراق يعاني من بعض تداعيات عدم الاستقرار الأمني الناتج عن ذلك. وعلى الرغم من الهدوء النسبي في السنوات الأخيرة، فإن التطورات في سوريا غرباً وطالبان شرقاً تشكل مصدر قلق مشترك لطهران وبغداد.

الحدود والمخاوف المشتركة: يمتلك العراق وإيران أطول حدود مشتركة تبلغ (1458) كيلومتراً مقارنة بالدول المجاورة الأخرى، مما يوفر فرصاً اقتصادية وأمنية وسياسية عديدة وفي المقابل يخلق بعض الخلافات على الحدود البحرية، مما أثر على علاقات البلدين في

بعض الفترات التاريخية. تواجد بعض الجماعات الإرهابية والمعارضة المسلحة في حدود إقليم كردستان يشكل جزءاً آخر من التحديات الحدودية بين البلدين.

الكيان الصهيوني واستنزاف مصادر القوة: تُعدُّ التدخلات الخارجية العامل الرئيس لعدم الاستقرار في غرب آسيا ولعرقلة تشكيل نظام أمني ذاتي .في هذا السياق، يسعى الكيان الصهيوني إلى تعزيز وتسريع عملية التطبيع مع الدول العربية وإضعاف عناصر قوة محور المقاومة، مع التركيز على استنزاف مصادر قوة إيران والعراق، هجمات تل أبيب على أنظمة الدفاع الجوي الإيرانية والهجمات على فصائل المقاومة العراقية تدل على هذا التهديد المشترك.

إدارة ترامب ومبدأ بناء السلام من خلال القوة: تُعدُّ الولايات المتحدة تقليدياً لاعباً مؤثراً في الساحة السياسية والاقتصادية العراقية. استراتيجية الضغط الأقصى المبنية على فكرة "السلام من خلال القوة"، ومحاولات واشنطن لوقف استيراد الكهرباء والغاز من إيران وعدم تمديد الإعفاءات يمكن أن تؤثر على الميزانية والبنية التحتية لكلا البلدين.

خلق الفجوات: أحد جهود أعداء العلاقات الإيرانية العراقية هو تصوير تهديدات وهمية وتشويه صورة دولة في أذهان الشعب الآخر. في هذا الإطار، تُعدُّ التهديدات المصنعة ومن بينها التدخل الواسع في الشؤون السياسية والأمنية واحتلال العراق من قبل بعض الدول الخارجية من أهم التصورات المصنعة في العلاقات الثنائية.

الفرص في انتظار الإرادة

يتمتع البلدان بعديد من عناصر التقارب ومنها:

التبادل الاقتصادي: بلغ حجم التبادل التجاري بين البلدين في عام 2023 حوالي13 مليار دولار، ويحتل العراق المرتبة الأولى في صادرات إيران غير النفطية، مع إمكانية زيادة هذا الرقم إلى أكثر من 20 مليار دولار سنوياً.

التكامل على المستوى الاجتماعي: العلاقات الشعبية على المستويات الاجتماعية هي أحد أهم مقومات تطوير العلاقات بين البلدين. في عام 2024 ، دخل أكثر من4 ملايين إيراني إلى العراق لزيارة الأماكن المقدسة، بينما دخل 2.7 مليون عراقي إلى إيران لأغراض سياحية ودينية، مما يشكل حوالي 47% من إجمالي السياح الأجانب.

العلاقة الأكاديمية والجامعية: في الوقت الراهن يدرس أكثر من 90 ألف طالب عراقي في إيران مما يشكل نسبة كبيرة من الطلاب الدوليين في إيران، كما افتتحت أربع جامعات إيرانية كبرى فروعها في العراق. هذه العلاقات العلمية لا تعزز فقط التبادلات الثقافية والاجتماعية بين البلدين، بل توفر أيضاً أرضية للتواصل والتعاون بين الشريحة النخبوية الإيرانية والعراقية.

الثنائيات المصطنعة: على عكس الثنائيات المصطنعة في المنطقة مثل الشيعة والسنة أو العرب والعجم أو الإسلام السياسي وغير السياسي، يجب تقسيم السياسة الخارجية لدول المنطقة إلى نوعين أساسيين :أ -سياسة تركز على فرص التقارب الإقليمي ب -سياسة تركز على تواجد وتدَخّل القوى الخارجية في المنطقة. في هذا السياق، يمكن أن تسهم السياسة المستقلة لإيران والعراق في الساحة الإقليمية والدولية في تعزيز التقارب الثنائي وتقاربهما الإقليمي.

تقارب إيران والعراق في تنظيم العلاقات الثنائية

خرج العراق في السنوات التي تلت أزمة داعش ودائرة عدم الاستقرار واتجه نحو تثبيت موقعه الإقليمي حيث أصبح العراق محوراً للاستقرار الإقليمي ولعب دور الوسيط بين إيران والدول العربية لتقليل التوترات وتعزيز الأمن الإقليمي. في هذا السياق، استضاف العراق عدة جولات من الحوارات لتطبيع العلاقات بين إيران والسعودية، كما نقل الرسائل بين إيران والدول الغربية. تؤكد هذه النشاطات أن العراق قادر على لعب دور الوسيط في النزاعات الإقليمية والدولية بدلاً من أن يكون بؤرة للصراعات. استمرار هذا الدور يتطلب اعتراف طهران وبغداد به وتركيزهما على المصالح المشتركة في هذا المسار.

التعاون الأمني الاستراتيجي القائم على الدولة

أصبحت منطقة غرب آسيا منذ تسعينيات القرن الماضي مركزاً لتدخلات القوى الخارجية ووجودها، وتسعى هذه القوى إلى تعزيز نفوذها الأمني والسياسي في العراق لتحقيق مصالحها الأمنية والاقتصادية. في الوقت الراهن، يمكن لطهران وبغداد أن تصبحا مركزاً لمواجهة التهديدات المختلفة، وأن تعملا كـ"منطقة عازلة (buffer zone) " لصد هذه التهديدات، ومنع انتشار الإرهاب على المستوى الإقليمي وهذه المنطقة العازلة يمكن أن توفر أرضية لتشكيل إطار أمني يعزز المبادرات الذاتية بما يتناسب مع إدراكات ومصالح جميع دول المنطقة.

يرفض هذا الإطار الأمني أي تدخل خارجي غير بنّاء، ويركز على قدرات دول المنطقة في حل التحديات فيما بينها. على عكس المبادرات المشابهة مثل صفقة القرن، وهذه المبادرة هي مبادرة إقليمية شاملة تأخذ في الحسبان مصالح دول المنطقة والقوى

الخارجية. تشمل هذه المبادرة شرطين أساسيين: أ-مراعاة مصالح جميع دول المنطقة ب-مشاركة القوى الكبرى في هذه المبادرة وتحديد مصالح روسيا والصين والولايات المتحدة وأوروبا. تشكيل قوة مشتركة لمكافحة الإرهاب بقيادة إيران والعراق في دعم القضية الفلسطينية ومواجهة الكيان الصهيوني، واستخدام القدرات الدبلوماسية المتبادلة لحل التحديات والخلافات، والوساطة في القضايا المتنازع عليها والملفات الخلافية، والسعي نحو مبادرة الردع الجماعي.

إنَّ تعزيز التعاون الأمني المشترك بين الطرفين لا يسهم في تعزيز الأمن الإقليمي فحسب، بل ينظم العلاقات الأمنية بين البلدين على المستوى الحكومي. على الرغم من التعاون والإنجازات الأمنية بين طهران وبغداد خلال العقدين الماضيين مثل التعاون في مواجهة الاحتلال الأجنبي ومكافحة الإرهاب، إلا أن العلاقات الأمنية بين إيران والعراق اقتصرت على الكيانات غير الحكومية، ويتطلب التطور في التعاون الثنائي تشكيلَ العلاقات الإقليمية وترقية هذه العلاقات إلى علاقات أمنية قائمة على الدولتين.

أفق العلاقة المستقبلية

لم تكن علاقات طهران وبغداد على طريق ممهد، بل كانت مليئة بالتحديات وشهدت تقلبات وتحديات عديدة ، بما في ذلك ذكريات الحرب التي استمرت ثماني سنوات بين البلدين، والثنائيات مثل الشيعة والسنة، والفرس والعرب، والنظرة السلبية لبعض القوى السياسية تجاه الدور الإقليمي لإيران واعتباره طموحات طهران الإقليمية، وعدم وجود مشاريع ومبادرات استراتيجية في المجال الاقتصادي والأمني، وغيرها.

في هذه الظروف، يجب على إيران والعراق أن ينظرا بواقعية إلى تغليب المصالح على التحديات، وألا يحولوها إلى مبرر للجمود في العلاقات الثنائية. من الضرورى أن يعتمد

الطرفان على المصالح والأفكار المشتركة لتجاوز هذه الفجوات وتقليل الخلافات مثل فكرة تقارب الاتحاد الأوروبي. يجب على البلدين التأكيد على عناصر التقارب مثل العلاقات والروابط الشعبية والمشتركات الثقافية والدينية، وتحويل هذه العلاقات الاجتماعية إلى تعاونٍ أمني حكومي كمركز للتعاون الإقليمي المشترك.

وفي نهاية المطاف، لا بد أن نشير إلى أن العلاقات الإيرانية والعراقية ليست محدودة بالعلاقات الثنائية بين الطرفين، بل هي مركز لتشكيل توازن إقليمي، والتنظيم الحكيم لهذه العلاقات يمكن أن يحولها إلى محور لتحقيق السلام والأمن الإقليمي وتمهيد الطريق لظهور منطقة آمنة ومزدهرة .جميع المقترحات المذكورة في هذه الورقة تُعدُّ أفكاراً أولية، وتحويلها إلى مشاريع شاملة يتطلب تدقيقاً مدروساً، حيث يمكن للنخب ومراكز الفكر في البلدين لعب دور بارز في هذا المجال.

هوية البحث

اسم الباحث: محمد أمين حضرتي- دكتوراه علاقات دولية-جامعة الإمام الصادق في طهران

عنوان البحث: التعاون المشترك بين العراق وإيران .. الفرص والتحديات

تأريخ النشر: نيسان - أبريل 2025

ملاحظة:

الآراء الواردة في هذا البحث لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المركز، إنما تعبر فقط عن وجهة نظر كاتبها

عن المركز

مركز البيدر للدراسات والتخطيط منظمة عراقية غير حكوميّة، وغير ربحِيّة، أُسِّس سنة 2015م، وسُجِّل لدى دائرة المنظمات غير الحكومية في الأمانة العامة لمجلس الوزراء.

يحرص المركز للمساهمة في بناء الإنسان، بوصفه ثروة هذا الوطن، عن طريق تنظيم برامج لإعداد وتطوير الشباب الواعد، وعقد دورات لصناعة قيادات قادرة على طرح وتبني رؤى وخطط مستقبلية، تنهض بالفرد والمجتمع وتحافظ على هوية المجتمع العراقي المتميزة ومنظومته القيمية، القائمة على الالتزام بمكارم الأخلاق، والتحلي بالصفات الحميدة، ونبذ الفساد بأنواعه كافة، إدارية ومالية وفكرية وأخلاقية وغيرها.

ويسعى المركز أيضاً للمشاركة في بناء الدولة، عن طريق طرح الرؤى والحلول العملية للمشاكل والتحديات الرئيسة التي تواجهها الدولة، وتطوير آليات إدارة القطاع العام ورسم السياسات العامة ووضع الخطط الاستراتيجية، وذلك عن طريق الدراسات الرصينة المستندة على البيانات والمعلومات الموثقة، وعن طريق اللقاءات الدورية مع الجهات المعنية في الدولة والمنظمات الدولية ذات العلاقة. كما يسعى المركز لدعم وتطوير القطاع الخاص والنهوض به، بما يقلل من اعتماد المواطنين على مؤسسات الدولة.

حقوق النشر محفوظة لمركز البيدر للدراسات والتخطيط

www.baidarcenter.org

info@baidarcenter.org